الأمير مولاي هشام يحذر من مخاطر الحملة الأمريكية على المنطقة العربية

هذه مقاربة يكتبها الأمير مولاي هشام، وفيها صوت تحذير ونذير، وتحليل لمخاطر الحملة الأمريكية على العراق والمنطقة العربية بشكل عام.. وكما يقول الأمير، فورقته هي كلمة تحذير صريح من القادم الذي سيكون مأساويا وخطيرا، جراء غياب السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وعدم وجود استراتيجية خروج واضحة من العراق. ولكن الورقة تحمل دعوة صريحة لدعم القوى التقدمية، والقبول كذلك بمجريات اللعبة السياسية والديمقراطية في المنطقة التي قد تجلب معها أصواتا تعارض السياسة الأمريكية. ويرى الأمير المغربي أن التغيير في كل هذا، يجب أن ينشأ من أمريكا، التي تحتاج لإعادة فهم دورها في العالم، وتغيير استراتيجيتها، والعودة للمؤسسات الدولية والقانون الدولي.

"**القدس العربي**"

أخاطبكم اليوم ويحدوني الأمل في أن أسمعكم صوتا صريحا من الشرق الأوسط. مثل الكثيرين، وانتم منهم، لقد تعلمت الكثير من الولايات المتحدة. ولا أقصد بذلك فقط التحصيل العلمي الراقي في جامعة عظيمة، بل الأمر يتعلق بتجربة انتقالية زرعت في نفسي بذرة الحرية وتعلمت منها قيمة الحرية. وخاصة أن معظم الناس في منطقتنا، بل وحتى في عالمنا، لم تتح لهم مثل هذه الفرصة. فمع أن الناس يولدون أحرارا إلا أن الكثيرين

منهم لا يدركون بشكل حقيقي أن الحرية حق من حقوقهم. ولذلك فإنني أتحدث إليكم كصديق يرغب في أن يوصل إليكم بأمانة ودون مبالغة في الكياسة المشاعر السائدة في منطقتنا.

معظمنا سمع بكتاب «العاصفة المثالية» والذي يصور فيه الكاتب بشكل درامي ما حدث إثر اصطدام ثلاث جبهات مناخية في المحيط الأطلسي الأمر الذي ولد دوامة هائلة من العواصف لم تبق ولم تذر حتى أنها ابتلعت كل مركب وجدته في طريقها. أود قياسا على ذلك ان أقترح عليكم بأن الغزو ثم الاحتلال الأمريكي للعراق ولد عددا من التيارات الجيوسياسية العاتية التي باتت في حالة تصدام، والتي تمخض عن تصادمها دوامة من الغليان والتصارع لا قبل لأحد التنبؤ بأبعادها أو رؤية منتهاها، والتي يغلب الظن على أنها ستزداد حدة وشراسة لتبتلع أعدادا متزايدة ممن يغامرون بالولوج إلى ساحتها أو ممن يجدون أنفسهم بلا حول منهم ولا قوة في مركزها.

ليس هذا تحليلي وحدي فقط ولكنه في الحقيقة تحليل ينسب-بل هو النوايا المعلنة- لكثيرين في الولايات المتحدة ممن دفعوا باتجاه هذه الحرب.

حرب من أجل السيادة و ليست حرب أسلحة مزعومة

لقد اتضحت الصورة الآن، ولم يعد من الصعوبة الاتفاق على عدد من الأمور: فغزو العراق في الحقيقة لم يكن متعلقا بأسلحة الدمار الشامل، وعلاقته بالديمقراطية وكذلك بالنفط علاقة اسمية فقط. لقد كان الغزو، وما يزال، حربا يقصد منها إعادة صياغة العراق أولا ثم الشرق الأوسط برمته ليصبح منطقة طيعة تنسجم مع المصالح الأمريكية، ومنطقة تتموضع فيها الاهتمامات بقضايا أسلحة الدمار الشامل والديمقراطية والنفط إذ بات من غير الممكن الآن التعامل معها سوى من خلال الشروط والمواصفات التي تقرها الولايات المتحدة الأمريكية نفسها وترضاها. بشكل أعم، إنها حرب تتعلق باستعراض الولايات المتحدة لإرادتها ولقدرتها على إعادة تشكيل العالم في القرن الحادي والعشرين حسب ما تقتضيه مصالحها وبموجب شروطها هي، وبالقوة لو استدعى الأمر ودونما اعتبار للقانون الدولي أو المواثيق الدولية. ليست الحرب متعلقة بإنجاز تحسينات ملحوظة ومباشرة في العراق بقدر ما تتعلق بفرض بنود وشروط جديدة لإدارة الحوار والفعل مستقبلا في المنطقة وفي العالم على حد سواء.

ليس هذا سرا، فتلك هي الرؤية المعلنة صراحة لأنصار الحرب من إتباع تيار المحافظين الجدد. إنها رؤية شاملة وجادة وملحة، رؤية تتميز بمحتوى فكري متماسك يكفي لإقناع كثير من الناس بجدواها. إنها الرؤية التي تمثل العمود الفقري والسند الإيديولوجي للحرب على العراق، كما تمثل الإطار العام للسياسة التي تتمخض الحرب في العراق عن انتهاجها وتسعى لتعميمها. من المفيد التذكير في هذا المقام بأن المفكر نورمان بودرهيتز، وهو من أبرز مفكري تيار المحافظين الجدد، كان هو الذي أطلق الحملة عام 2002 حينما دعا لأن تقوم الولايات المتحدة بلا هوادة بشن الحرب العالمية الرابعة، أي الحرب ضد الإسلام المتطرف. (وكان قد استخدم مصطلح الحرب العالمية الرابعة لاعتباره الحرب الباردة حربا عالمية ثالثة). ورأى بودرهيتز بأنه لا ينبغي أن تقتصر الأهداف على أعضاء «محور الشر» الثلاثة الذين خصوا بهذا الوصف. بل ينبغي حسب رأيه أن توسع دائرة العضوية في المحور لتشمل سورية ولبنان وليبيا على الأقل بالإضافة إلى بعض أصدقاء الولايات المتحدة الأمريكية مثل العائلة السعودية الحاكمة ورئيس مصر حسني مبارك وكذلك السلطة الفلسطينية سواء كان على رأسها ياسر عرفات أو أحد أتباعه. ويرى بأن المنطق السياسي والعسكري للحرب
ضد القاعدة قد يستدعي أن تبادر الولايات المتحدة إلى قلب خمسة أو ستة أو حتى سبعة من الأنظمة الأكثر طغيانا في العالم الإسلامي (بما في ذلك المتبني الآخر للإرهاب والمتمثل بالسلطة الفلسطينية بزعامة ياسر عرفات). ويضيف بأن على الولايات المتحدة أن تحمل على عاتقها مهمة امبريالية جديدة لتشرف بنفسها على ظهور حكومات جديدة في المنطقة تخلف الحكومات الحالية وتكون لها قابلية أكبر للإصلاح والتحديث من الأنظمة الاستبدادية القائمة حاليا، وذلك بهدف منح معتنقي الإسلام الفرصة لوضع أقدامهم على طريق مؤداه مزيد من الحرية ومزيد من الرفاه وحتى يحققوا سلامهم - ليس من باب المصادفة - مقرين بحق إسرائيل في الوجود. ودونما اوهام حول تكاليف ذلك، يحذر بودرهيتز من أن هذا الجهد التمديني العظيم سوف ينجح فقط فيما لو توفرت لدى الولايات المتحدة الشجاعة والإصرار على فرض ثقافة سياسية جديدة على الأطراف

المهزومة.

لا معارضة

إذا ما تركنا العراق برهة نجد ان الكونغرس الأمريكي قد أجاز بأغلبية 435 صوتا إلى أربعة أصوات قانون محاسبة سورية في حدث يذكرنا بقانون تحرير العراق الصادر في عام 1998 والذي طالب حينها بتغيير النظام في العراق. وبأغلبية 376 صوتا إلى ثلاثة أصوات أجاز مجلس النواب الأمريكي قرارا يخول الإدارة الأمريكية استخدام «كافة الوسائل المناسبة» - وهي لغة الضربات الاستباقية - لمنع إيران من تحقيق قدرات سلاحية نووية. وما من شك في أن اللغة المستخدمة ضد إيران تزداد صرامة يوما بعد يوم في الكونغرس الأمريكي حيث ينادي المتشددون من أنصار إسرائيل وخصوم إيران، كما تشير «كريستيان سيانسمونتور»، بانتهاج سياسة تستهدف تغيير النظام في إيران تماما كما حدث في حالة السياسة الأمريكية تجاه العراق في أواخر التسعينات. وكما يؤكد هذه المواقف التي ترقى إلى شبه إجماع بين المصوتين في أعلى هيئات تشريعية أمريكية فإن مثل هذه المناورات العدوانية تجري دون أدنى نقاش جدي من قبل معارضة حقيقية.

ومن الدارج في الولايات المتحدة أنه إذا لم يرغب الحزبان الجمهوري والديمقراطي في مناقشة قضية ما، فإن الإعلام يعزف عن مناقشتها أيضا. والعجب كل العجب في أن مثل هذه الإجراءات التي يراها باقي العالم خطيرة جدا تظل غير مرئية ولا تحظى بشيء من الحوار في داخل الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا ما يجعل المرء يجزم بأن موقف المحافظين الجدد سواء في الساحة العراقية أو في داخل الولايات المتحدة الأمريكية لم يتراجع قيد أنملة، بل يمكن الجزم بأنه في الحقيقة قد تقدم نحو مرحلة جديدة.

الإسلام الجهادي

العنصر الآخر في هذه الدوامة المتفجرة هو ذك النمط من الإسلام الجهادي الذي يجسده أسامة بن لادن الذي يعلم هو الآخر بأن الفعل الضخم والحاسم من شأنه أن يغير ساحة اللعب التاريخية، والذي بادر بأول ضربة بارزة في هذه الدائرة الجديدة والخطيرة للعنف. علينا أن نتذكر بالطبع بأن ابن لادن أصبح رأسا وعلما للأيديولوجية الجهادية المتطرفة التي انتشرت في أرجاء المعمورة وعلينا أن نعترف بأن هذه الإيديولوجية متجذرة في عناصر من التاريخ والثقافة العربية الإسلامية والتي لا يمكن التنصل منها بافتراض أنها من مخترعات الغرب، ويمكن تعقب هذه العناصر ابتداء من التوجه القطبي المتطرف والموجود في بعض تيارات الإخوان المسلمين إلى بعض أشد التفسيرات رجعية في نطاق الحركة السلفية. كلنا يعلم كيف عملت الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الأقطار على تجميع هذه العناصر معا ومولتها وسلحتها وحولتها من خلال التدريب والإعداد إلى قوى مقاتلة كوسيلة لمحاربة «الشيوعية الملحدة » في أفغانستان. وعلينا أن نقر أيضا بأننا كنا في غفلة من نشأة الثقافة والعقيدة الجهادية والتي لم نعرها الاهتمام الذي تستحق لفترة طويلة من الزمن. وكثيرا ما كنا نجبن في وجه هذه العقائد لمجرد أنها ترتدي رداء الوحي. فما كان من هذه القوى إلا ان شقت طريقها الأفغانية، ولم تقنع بالانسحاب إلى الجنبات إثر انهزام الاتحاد السوفييتي وخروجه من أفغانستان.

وبالفعل، لقد غيرت أحداث الحادي عشر من (سبتمبر) التي مثلت أوج طموحاتهم وجه العالم. لقد كانت الهجمات المريعة في ذلك اليوم محاولة لتغيير علاقة المسلمين بالإسلام ثم علاقة المسلمين والإسلام بالغرب، وإقامة منطق جديد يقوم على المواجهة الشاملة ولا قبل لأحد بمقاومته.

يواجهنا الآن تحد جديد يتمثل في المسؤولية الملقاة على عاتق جميع المسلمين التشويه المسيء لديننا، هذا التشويه الناجم أساسا عن هذه الإستراتيجية الجهادية الجديدة. علينا أن ندعم التقليد المنطقي للإسلام، ذلك التقليد المنفتح والمتجه نحو بناء مستقبل حقيقي وآمن للأمة الإسلامية بدلا من الرجوع إلى أساطير الماضي الذهبي. لا شك بأن ذلك أمر صعب، ولكنه في نفس الوقت عمل المستحيل بشكل قطعي أن يفكر، الشباب مرة أخرى بأن

خطف الطائرات وتحويلها إلى صواريخ تقذف بها البنايات وكذلك قطع رؤوس الصحافيين عمل رباني. إن واجب المسلمين الذي لا مفر من القيام به هو مكافحة وقهر كل أيديولوجية من هذا النوع، والتي في نهاية المطاف تستهدف اضطهادنا حيثما وجدت وبكل الوسائل المتاحة. كما أن من حق كل من يهاجم من قبل هذه القوى أن يكافحها وأن يقهرها.

أظن أن معظم المسلمين فهموا ذلك يوم الثاني عشر من (سبتمبر) فمعظم المسلمين لم يظنوا بأن قتل الآلاف من موظفي المكاتب في نيويورك كان بأمر من الله لمجرد ان الحكومة السعودية دعت القوات الأمريكية إلى بلادها ناهيك عن أن يكون ذلك بسبب سايكس بيكو. إن القضية الوحيدة التي أثارها ابن لادن ولقيت صدى لدى المسلمين-وليس فقط لدى المسلمين- كانت قضية الظلم الذي يعانيه الفلسطينيون. وهنا، كان الغضب تجاه المسؤولية الأمريكية عن هذه الحالة قد خفت حدته بسبب الإحساس بأن الولايات المتحدة لربما كانت ما تزال قادرة على لعب دور الوسيط النزيه. لقد غدا من المفهوم أن ابن لادن تجاوز أعراف النضال المشروع وأصبح بذلك هدفا للانتقام.

القدس العربي 2 أكتوبر 2004